كتاب المنطق

obeikandi.com

obeikandl.com

الفصل الأول

دور المسلمين فى تصحيح مسار علم المنطق

المؤلف يجحد فضل المسلمين على علم المنطق :

خلا كتاب المنطق المقرر من أى ذكر لدور المسلمين فى مجال هذا العلم . رغم أن الفضل يرجع إليهم وحدهم فى هدم المنطق الأرسطى وإقامة صرح المنطق الاستقرائى التجريبى . ذلك المنهج الذى أخذته أوربا عن المسلمين وأقاموا به نهضتهم الحديثة .

فالنصف الأول من الكتاب شرح فيه المؤلف منطق أرسطو دون ذكر كلمة نقد واحدة مما قالها المسلمون فيه ، ودون الإشارة إلى أن ابن تيمية وغيره من علماء أصول الفقه قاموا بهدم هذا المنطق الصورى النظرى ، وأنه لم يقم له بعدها قائمة فى الشرق أو الغرب ، وأنهم اقاموا مكانه المنهج التجريبى الاستقرائى الذى أخذت به أوربا بعد ذلك على يد « فرنسيس بيكون » و « مل » وغيرهما .

ويعتبر هذا المنطق الاستقرائى هو المعبر الحقيقى عن روح الإسلام وقد نسبه المؤلف زوراً إلى الغرب رغم أنه منهج إسلامى لحماً ودماً .

كيف تمكن المسلمون من إقامة منهجهم الاستقرائى على أنقاض المنطق الأرسطى :

بعد أن كانت الفكرة السائدة لدى الباحثين أن المنطق الأرسطى هو قانون العقل الذى لا يرد ، وأن أحكامه يقينية ، قام المسلمون باكتشاف منطق جديد هو المنطق الاستقرائى التجريبى الذى يعد أعظم ما قدمه المسلمون إلى الفكر الإنسانى ، ويعتبر فتحا جديدا فى المجتمع العلمى الحديث ، لدرجة أن ما ذكره روجر بيكون وفرنسيس بيكون ومل وغيرهم لم يزد على ما ذكره المسلمون . والسبب الذى جعل المسلمون يهتمون بالملاحظة والتجربة أى الاستقراء هو أن الإسلام نهى عن البحث فى الشىء فى ذاته . أى ما هيته وجوهره وكنهه وغير ذلك من المسائل الميتافيزيقية التى انشغل بها اليونانيون ، وهى لا طائل من ورائها ولا منفعة . خاصة وأن ميتافيزيقا القرآن الكريم قد جاءت كاملة فى أمور الغيبيات كالروح والبعث وغيرها فكفى المسلمون مشقة البحث فيها ، ودعاهم الدين إلى السيطرة على الحياة.وفى هذا المعنى يقول الإمام مالك (لا أحب الكلا إلا فيما تحته عمل) . لذلك فقد اندفع المسلمون منذ عهد الصحابة إلى وضع الأصول الأولى للمذهب التجريبى فى نسق منهجى متكامل . ثم أخذ عنهم الغرب هذا المنهج وادعاه لنفسه . أما اليونانيون فقد اعتبروا التجريب خاصية العبيد ، ورفضوا أن تكون التجربة هى وسيلة المعرفة بل كانت الوسيلة هى النظرة العقلية المجردة مدعين بأنها تؤدى إلى المعرفة اليقينية الشاملة الكلية(*) وإزاء هذا فقد قام المسلمون بحركتين . حركة هدم للمنطق الأرسطى ، وحركة بناء لمذاهب منطقية جديدة مبتكرة كما يلى :

أولا : مرحلة هدم المسلمين للمنطق الأرسطى :

قام بحركة الهدم :

(١) علماء أصول الفقه الإسلامى وهؤلاء هم أول من ينسب إليهم المنهج الاستقرائى الإسلامى لأن علم أصول الفقه بالنسبة للفقه يعتبر كالمنطق بالنسبة للفلسفة . فأصول الفقه هو مجموع طرق الفقه التى تعصم ذهن الفقيه من الخطأ أثناء استنباطه للأحكام. أى أن أصول الفقه هو منهج البحث عند فقهاء المسلمين . وأول من وضعه هو الإمام الشافعى ولو أن فكرة القياس التى هى هدف عالم الأصول قد ظهرت أيام الصحابة .

(٢) علماء الكلام خاصة الأشاعرة حيث عابوا على المنطق الأرسطى اعتماده على الميتافزيقا اليونانية وهى تخالف عقائد المسلمين .

(*) مذكرات فى المنطق الأرسطى للدكتور محمد جلال شرف ص ١٣٦ .

(٣) علماء الفقه وعلى رأسهم ابن تيمية الذى قال بأن المنطق الأرسطى يقيد الفطرة بقوانين صناعية متكلفة كلية ثابتة مما يجعلها غير متناسبة مع الحاجات البشرية المتنوعة والمتغيرة .

(٤) كما عارضه العلماء التجريبيون وفلاسفة التاريخ وعلماء الاجتماع وغيرهم ممن طبقوا فى أبحاثهم المنطق الإسلامى الاستقرائى التجريبى .

ثانيا : مرحلة بناء المنطق الإسلامى

أى المنهج الاستقرائى التجريبى الذى أخذته أوربا عن المسلمين . ويعبر عن الروح الإسلامية التى تنسق بين النظر والعمل . وهذا هو ما يميزها عن الحضارة اليونانية التى تعتمد على النظرة الفلسفية الميتافيزيقية المجردة وتهمل التجربة العملية وغير ذلك مما نقدها فيه الإمام ابن تيمية وغيره من المسلمين . وقد تأثر فرنسيس بيكون بالمسلمين فى نقدهم للمنطق الأرسطى كما أخذ منهم منهجهم التجريبى الاستقرائى .

وفى هذا يقول المفكر الإنجليزى بريفانت : إن روجر بيكون درس العلم العربى دراسة عميقة ، وإنه لا ينسب له ولا لفرنسيس بيكون أى فضل فى اكتشاف المنهج التجريبى . وأن الذى أدخله إلى أوربا هم العرب ، وإن هذا المنهج هو المعبر عن روح الإسلام التى تنسق بين النظر والعمل[١] .

ويقول د. محمد جلال شرف: إن أخطر وأعظم ما قدمه المسلمون إلى الفكر الإنسانى هو منهجهم التجريبى الذى يعتبر ثورة عارمة وأصيلة على الفكر اليونانى ، وإن ما ذكره روجر بيكون وفرنسيس بيكون وجون استيوارت مل ودافيد هيوم حديثا لم يزد على ما ذكره المسلمون فى هذا المجال[٢] .

فكيف تجاهل المؤلف دور المسلمين فى قيام المنهج التجريبى فى حين اعترف الغرب بهذا الدور . واعتبر أن هذا المنهج هو أعظم فكرة عرفتها البشرية . وأنه من نتاج العبقرية الإسلامية وحدها . لأنها هى التى تمزج بين النظر والعمل .

الأدلة على أن المنهج التجريبى منهج إسلامى :

يمكننا أن نستنبط بسهولة تلك الأدلة مما ورد بالكتاب المقرر نفسه . فإذا تدبرنا ما ورد فى صفحة ٢٠ وما بعدها تحت عنوان (طرق التحقق من صحة الفرض العلمى) التى

---

(١) مناهج البحث للدكتور على سامى النشار ص ٢٧٧ .
(٢) مذكرات فى المنطق الأرسطى د . محمد جلال شرف ص ١٣٦ .

أدعى الكتاب بأن « فرنسيس بيكون » هو الذى وضعها وأن « مل » قد حسنها . نجد أن هذه الطرق قد أخذت بكاملها من المسلمين . **فمثلا :**

١ – طريقة الاتفاق : أى التلازم فى الوقوع .

والتى يقول فيها « مل » أن العلة والمعلول متلازمان فى الوقوع فإذا وجدت العلة وجد المعلول .

نقول إن هذه الطريقة قد أخذت من قانون « اطراد العلة » عند المسلمين، الذين يقولون: إن هناك اطراداً أى نظاماً فى وقوع الحوادث مما يجعلنا نحمل صورة الفرع على الأصل مع تغليب الظن وليس اليقين . فإذا رأينا مثلا فرس القاضى واقفا على باب الأمير غلب على ظننا كون القاضى فى دار الأمير ، وما ذاك إلا لأن تلازمهما فى سائر الصور أفاد الظن فى هذه الصورة . وبالمثل الغيم دليل المطر ثم عدم نزول المطر فى بعض الصور لا يقدح فى كون الغيم دليلا . وبالمثل إذا وجدنا الإسكار فى الخمر وجدنا التحريم، ثم إذا وجدنا الإسكار فى شراب آخر جزمنا بوجود التحريم فيه . وجميع هذه الأمثلة تدل على أن هناك اطرادا أى نظاما فى وقوع الحوادث . وبذلك يكون المسلمون قد سبقوا بقانون الطرد قانون التلازم فى الوقوع عند « مل » والذى يسميه الكتاب المقرر « طريقة الاتفاق » .

ويعطى المسلمون أمثلة أخرى لقانون الطرد مثل:حرمان قاتل مورثه من الميراث. وعلة ذلك أنه استعجل غرضه قبل أوانه ، وعولج بنقيض مقصوده وهو الحرمان من الميراث . وأن هذا الحكم طرد أى انتقل إلى الناكح فى العدة حيث يحكم عليه المالكية بنقيض مقصوده . كما عاملوا قاتل مورثه بنقيض مقصوده[٣] .

٢ – طريقة الاختلاف : أى التخلف فى الوقوع .

وهى عكس طريقة الاتفاق ؛ لأنها تقوم على أساس أنه إذا تخلفت العلة تخلف المعلول . وقد أخذ « مل » هذه الطريقة من قانون « العلة المنعكسة » عند المسلمين . والذى يقولون فيه إن العلة تدور مع الحكم عدما ، أى كلما اختفت اختفى[٤] .

٣ – طريقة الجمع بين الاتفاق والاختلاف : وهى الطريقة التى تجمع بين الطريقتين السابقتين ، لزيادة التأكد من وجود علاقة السببية بين الظاهرة وتلك العلة ، حيث تظهر الظاهرة بظهورها وتختفى باختفائها .

---

(٣) مناهج البحث ص ١٠٠ للدكتور على سامر النشار .

(٤) نفس المرجع ص ١٠١ .

وهذه الطريقة تسمى عند المسلمين الدوران أى دوران العلة مع المعلول وجودا وعدما . كما تسمى أيضا الجريان ، أو الطرد والعكس . ويقول المسلمون بأن الدوران هو عين التجربة . أى أن الدوران هو أوج المذهب التجريبى عند المسلمين . ومثاله هو عصير العنب قبل أن يدخله الإسكار كان حلالا ، فإذا ما دخله الإسكار أصبح حراما ، فإذا ذهب عنه الإسكار ذهب عنه التحريم . وحيث أن التحريم اقترن بالإسكار وجودا وعدما ، ثبت أن الإسكار هو علة التحريم . وقد اختلف علماء الأصول فى اعتبار الدوران موصلا إلى اليقين أو إلى الظن . ومسلك الدوران هذا هو قانون التلازم فى الوقوع وفى التخلف عند مل(٥) .

وباختصار نقول : إن مفكرى الإسلام قد سبقوا المحدثين خاصة بيكون ومل فى وضع قوانين الاستقراء وطرقه . وذلك عندما أقاموا القياس الأصولى على قانون العلة واطراد الحوادث فى الطبيعة ، انطلاقا من إيمانهم بانتظام حركة الكون واطرادها ، كما أرادها الله وسخرها للإنسان ، فوضعوا شروط العلة وطرقها التى تساعد على تفسير الظواهر فى إطار موهبة التخيل والتوقع العلمى لدى الباحث ، مؤسسين ذلك كله على التجربة التى قلدهم فيها المناطقة المحدثون حيث أقاموا منهج الاستقراء الذى اقتبسوه من المسلمين على أساس التجربة . بدليل أن كتاب الفيلسوف الفرنسى فرنسيس بيكون (الأورجانون الجديد) الذى كتبه نقداً لكتاب (الأورجانون القديم) لأرسطو ، يكاد يطابق كتاب الرد على المنطقيين لابن تيمية والمعروف أن اللاحق هو الناقل عن السابق(٦) .

ويبقى بعد ذلك ملاحظة هامة وهى أن المسلمين قد سبقوا حتى أصحاب المنهج المعاصر فى اعتبار أن العلية ليست هى الأساس الوحيد للاستقراء ، بل سلموا بوجود طرق أخرىُ بجانبها بدليل أن هيوم نفسه قد تأثر بما قاله المسلمون فى نقده للعلية(٧) .

---

(٥) نفس المرجع ص ١٠١ .

(٦) من مقال د . فوقية حسين بالأهرام فى ١٩٨٦/٩/١٩ .

(٧) مناهج البحث ص ١٠٣ .